

فكرة القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي و تأثيراتها على التراجع الاقتصادي

The Concept of Colonizability in Malek Bennabi's Thought and Its Impact on Economic Decline

أحمد طالبي¹، ط.د. لبنى تكرنيت²

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، mhamed.talbi@univ-alger2.dz

² جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، takernichet.loubna@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /09 /03 تاريخ القبول: 2025 /11 /22 تاريخ النشر: 2025/12/16

Abstract:

This study addresses one of the most significant ideas that emerged after the Second World War and the formation of the Eastern and Western blocs, which resulted in profound political, social, and economic changes. We refer here to the concept of "susceptibility to colonization," a notion first articulated by Malek Bennabi, despite the existence of other terms with similar implications.

The concept of "susceptibility to colonization" is primarily linked to Third World countries that found themselves facing an existential economic challenge: either to rely on themselves to achieve economic revival and comprehensive development, or to submit to economic dependency on the Western powers with their vast capabilities. The risks of this choice are undeniable, given that the pragmatic West recognizes nothing but its own economic interests.

المؤلف المرسل: أحمد طالبي

البريد الإلكتروني: mhamed.talbi@univ-alger2.dz

Through this research paper, we aim to shed light on the concept of "susceptibility to colonization," considering its psychological dimension, whose negative effects are evident in our economic decline and dependency.

Keywords: Colonialism, susceptibility to colonization, economic dependency, economic backwardness.

الملخص:

تتناول هذه الدراسة أحد أهم الأفكار التي ظهرت عقب الحرب الكونية الثانية وتشكل الكتلتين الشرقية والغربية، وما نتج عنهما من تغيرات عميقة على الصعيد السياسي، الاجتماعي والاقتصادي. ونعني بذلك فكرة "القابلية للاستعمار" والتي يعتبر مالك بن نبي أول من صرح بها رغم وجود مصطلحات أخرى ذات صلة بمحتوى معناها. وترتبط فكرة "القابلية للاستعمار" أساساً بدول العالم الثالث التي وجدت نفسها أمام تحدٍّ وجودي اقتصادي وضعها أمام خيارين اثنين: إما الاعتماد على الذات واستجماع كل طاقات الأمة البشرية منها والمادية في تحقيق النهضة الاقتصادية والتنمية الشاملة، وإما التبعية التامة لاقتصاديات الدول الغربية ذات الإمكانيات العلمية والمادية الكبيرة. ولا يخفى على مؤرخي الفكر والحضارة مخاطر هذا الخيار الأخير المؤكدة باعتبار الغرب الذي تبني المذهب البراغماتي بدأ من القرن التاسع عشر لا يعترف إلا بمصالحه الاقتصادية والتي أصبحت بمثابة وجه جديد للاستعمار التقليدي.

ونسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على فكرة القابلية للاستعمار وأثرها على تراجعنا وتبعيتنا الاقتصادية.
الكلمات مفتاحية: الاستعمار؛ القابلية للاستعمار؛ التبعية الاقتصادية؛
التخلف الاقتصادي؛ مالك بن نبي.
مقدمة:

تعتبر فكرة "القابلية للاستعمار" كما يراها العديد من المفكرين والباحثين من المفاهيم الحديثة التي انبثقت من مقولات الحداثة وما بعدها، وما هو متعارف عليه أن مصطلح "القابلية للاستعمار" تعكس حقيقة الأحوال النفسية والاجتماعية التي طبعت المجتمعات المستقلة حديثا بعد الحرب الكونية الثانية، وتقسيم العالم إلى "عالم متقدم" و"عالم متخلف"، حيث وجد مالك بن نبي أن التحدي الكبير الذي يمكن أن يواجهه العالم المتخلف والممتد من محور "طنجة" غربا إلى "جاكرتا" شرقا، هو "التحدي الاقتصادي" باعتباره عصب الحياة وأُسُّها وجودا وحضارة، إذ لا يكمن هذا التحدي في صعوبة منافسة الدول العظمى فحسب، نظرا للبون الشاسع في الإمكانيات المادية والعلمية، للأسباب التاريخية المعروفة، وإنما يكمن في استسلام الشرق المتخلف اقتصاديا إلى الغرب المتطور اقتصاديا ومن ثَمَّ الرضوخ له، على أساس أن البعد الاقتصادي هو الركيزة الأساسية لأي عملية بناء حضاري، ومن دونه لا يمكن الحديث عن أي نهضة حضارية حقيقية يسندها الواقع وتاريخ الحضارات، وهو ما يتقارب فيه مالك بن نبي مع كارل ماركس.

لذا يعتبر مالك بن نبي فكرة "القابلية للاستعمار" انعكاسا طبيعيا للعزوف عن كل مجهود ذاتي للتفكير، ونتيجة حتمية للشعور بمركب النقص والنظرة الدونية للثقافة الأصيلة أمام العملاق الاقتصادي الغربي، وقد حاكى هذا المفهوم كثير من المفكرين العرب المهتمين بالفكر والحضارة، وإن كان هؤلاء قد اختاروا مصطلحات أخرى تختلف مع مصطلح مالك بن نبي في المبنى إلا أنها تتفق معه في المعنى والدلالة، كمصطلح التبعية، التقليد، الاغتراب، الاستلاب، الاحتواء، وغيرها من المصطلحات التي تقترب من مقولة ابن خلدون "المغلوب مولع بتقليد الغالب".¹

و إذا كان "الإنسان" يشكل محور تركيز مالك بن نبي، باعتباره عنصرا رئيسيا في عملية أي بناء حضاري، إلا أنه لا يقتصر هذا التركيز على سواعد الانسان فحسب في عملية البناء، وإنما على ذهنية الإنسان الحي وبرمجتها وتهيئتها وتخليصها من مفاهيم "ما بعد الكولونيالية"، فحسبه لا يمكن أن يُكتب النجاح لأي استراتيجية اقتصادية حقيقية تركز على أرقام وبيانات مادية واقعية ما لم تكن فيها قيمة الانسان هي الفاعل الأول والأساس، لكن بشرط أن تكون إرادته حركة نَشِطة مستمدة من إرادة حضارة".²

أخذ مالك بن نبي على عاتقه دراسة هذه الظاهرة ومحاولة إيجاد الحلول لاستئصالها من واقع ونفسية المسلمين، بعدما حلل عقلية الغرب وعرف حقيقتهم التي غفل عنها كثير من الناس، وقد اقتنع بما لا يدع مجالا للشك أن ما أخذ بالقوة لا يُمكن استرجاعه إلا بذات القوة، يضاف إلى ذلك يقينه الديني والفكري أن أي مشروع لتغيير حال الانسان نحو مستقبل أفضل

يكون مرهونا بتغيير نفسه أولاً وأخيراً "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"³.

ولعل هذا النوع من المقاربات يحتاج إلى منهج متكامل يجمع بين التحليل والتركيب والنقد، لضبط الدراسة بالصورة المستهدفة.

الإشكالية: عطفاً على ما سبق، و من منطلق الخلفية الفكرية والعقائدية لمالك بن نبي من جهة، ونظرته إلى دور الأساس الاقتصادي المادي الذي يتقاطع فيه مع الفكر الماركسي المادي من جهة أخرى، يمكن طرح الإشكالية التالية: هل التخلف الذي يشهده العالم الإسلامي ما بعد الاستعمار التقليدي يعود أساساً إلى تخلي مُسلمو هذا العصر عن المبادئ التي تأسست بها دولة الإسلام الأولى و حضارته كما يراه معظم رجال الفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي؟ وبالنظر إلى قوة الحضارة الغربية المادية ما بعد الكولونيالية و أثرها على تشكيل عقلية رجال الفكر و الحضارة و ظهور فكرة القابلية للاستعمار في أبعادها المختلفة خاصة بعدها الاقتصادي، يبرز التساؤل الجوهرى التالي: ما هو أثر فكرة القابلية للاستعمار على التخلف الاقتصادي الذي يشهده العالم الإسلامي بعد الحالة الكولونيالية؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة الحضارية. هذه الإشكالية تدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: ما هو مفهوم فكرة القابلية للاستعمار؟ وما هي أسباب تأثير القابلية للاستعمار على التخلف الاقتصادي؟

وفي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات تقترح الفرضيات التالية: الدافع الأول لتراجع اقتصاد دول العالم الإسلامي متعلق بنفسية و فكر الإنسان

المسلم، كما تتمثل مشكلة العالم الإسلامي في تعامله السطحي مع القضايا، و تغافله عن الجوهر الذي يمثل لبّ القضية و لبّ المسألة الحضارية، و التي تشكلت في صورة مشكلة نفسية خفية تربّت في قرار الإنسان مع مرور الزمن ألا وهي القابلية للاستعمار.

من هذا المنطلق تهدف هذه الدراسة للبحث في الأسباب والدوافع التي أدت إلى بروز هذه الظاهرة الاجتماعية، بالإضافة إلى ذكر الأثر الذي تركته على المجتمع العربي الإسلامي خاصة في الجانب الاقتصادي و انعكاسه على عملية البناء الحضاري.

1- مفهوم القابلية للاستعمار:

يعتبر مفهوم القابلية للاستعمار أحد أهم القضايا التي طرحها مالك بن نبي في سلسلته مشكلات الحضارة عام "1948"، حيث يعكس هذا المفهوم الوضع الذي آل إليه المجتمع المتخلف الذي استسلم لهيمنة الاستعمار و سلطته، أملا منه العيش في أمن ورغد بصحبته، في حين يرى آخرون من أمثال "عبد الحميد سي الناصر" و "غازي التوبة" وغيرهما أن هناك مفكرين آخرين سبقوا بنبي⁴ يشير هذا مفهوم إلى الاستعداد الذاتي أو الداخلي لدى مجتمع ما لتقبّل السيطرة الاستعمارية، نتيجة ضعف في البنية الفكرية والثقافية و السياسية والاجتماعية لذلك المجتمع. و هذا لا يعني تبرئة الاستعمار من جرائمه، بل التركيز على دور العوامل الداخلية التي جعلت الاستعمار ممكناً و فعّالاً.

2- تجليات القابلية للاستعمار:

إن فكرة القابلية للاستعمار تشبه إلى حد ما في فحواها فكرة ابن خلدون في تقليد الضعيف للقوي دوماً.

فالإنسان المهزوم يحمل في أعماقه نفساً متصدعة آيلة إلى السقوط والانهيار في أي لحظة، لذا يحاول دائماً أن يجد متكأً يتكئ عليه ليسنده من هذا الوقوع والانزلاق، فلا يجدها في داخله (بذاته) فيبحث عن مصادر قوة من الخارج ليقوي بها هشاشة ذاته، فيلجأ إلى التعلق بالغير سواء كان عدواً أم صديقاً، وإما عبر التقليد أو الاتحاد به، وهذا التعلق بالغير نابع عن الدونية للذات، يولد الرغبة بالخضوع والخنوع له، كحاجة و مطلب نفسي أساسي و ضروري لهرب من العجز النابع من ضعف الذات إلى القوة النابعة من الالتصاق بالآخر، بأي شكل من الأشكال، سواء بالتبعية أو التوحد أو الاندماج كما يرى علماء النفس، و بذلك يخرج من دائرة الإرادة إلى إطار الذلة و الخضوع و الهوان، و شخصية الفرد المهزوم، و يعتبره على أنه شيء طبيعي لا يجب أن يتدمر منه، بل عليه أن يرضى و يقبل به طائعاً، لأنه خلق لذلك، و أن هذا هو دوره بأن يكون هو العبد دوماً، الذي يبحث دائماً عن سيد، كما ورد في فلسفة فريدريك هيغل "جدلية العبد والسيد". و بالتالي فذات المهزوم تبحث عن يوفر لها هذا المطلب، حتى إذا وُجد المهزوم طاعياً أو باغياً، يحقق له من ذل و خضوع، فإنه الهدف المنشود، لأن هذا الطاغية بالنسبة له مطلب و مبحث يجد راحته فيه، يقول عالم النفس إريك فروم: "إن الشخص الخائف المذعور يبحث عن شخص ما أو شيء ما يربط به ذاته...لأنه لم يعد يطيق أن يكون

شخصاً ذو ذوات فردية مستقلة فيحاول و هو في حالة هيجان شديد أن يتخلص منها و أن يشعر بالأمان من جديد من هذا العبء بالذات".⁵

هذا التداخل بين العوامل النفسية و الفكرية و الجغرافية هو الذي يجعل فكرة القابلية للاستعمار مسألة معقدة و شائكة. يضاف إلى ذلك مخططات الاستعمار غير المباشرة للاستيلاء على ثروات المستعمر الخفية و التي من خلالها يسخر الإمكانات المادية و الرفاهية لمواطنيه، فمالك بن نبي حاول تبين صورة الاستعمار الحقيقية و المكائد التي يصنعها لعدوه، للحد من ظاهرة الانحلال و التبعية للاستعمار، لذا فأكثر ما يركز عليه مالك بن نبي هي مسألة "الأفكار"، و تكوين العقل الفعال الذي يتصدى للعدو المستعمر و مكائده، فمحاولة إعادة ترتيب العقل المسلم أو إعادة تشكيله و صياغته و منحه القدرة على التخلص من الاستعمار الفكري و قيود الجهل و العرف و الانهزام النفسي، مسألة اختص بطرحها و معالجتها مالك بن نبي.

إن الاستعمار في نظر فيلسوف الحضارة هو نتاج تراكمي لضعف فكري و نفسي و حضاري، و ليس فقط حادثاً طارئاً، وهنا يدخل دور الأفكار التي من بينها "الميتة" و "القاتلة" كمحرك أساسي في هذه المعادلة، فالأفكار الميتة هي التي انتهت عمرها الحضاري، ولم تعد تملك القدرة على التجديد أو الفعل، تظل متداولة في المجتمع لكنها فقدت ديناميكيها و حيويتها في عقل الفرد و المجتمع، أما بالنسبة للأفكار القاتلة فهي التي تثبط الهمم و تقتل العزيمة، و تنتج التخلف و تشجع التبعية، و إذا ما أردنا حصر العلاقة الموجودة بين الأفكار الميتة و القاتلة التي تحدث عنها في كتاب "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" و سماها

بـ "ظاهرة التراجع الاقتصادي"، فإن لأفكار الميَّنة الأفكار التراثية لكنها فاقدة للفاعلية، وتُدرج ضمن العادات و التقاليد التي تُتَّبَعُ ويتم تكرارها دون وعي أو تمحيص، كما تُستخدم في الخطاب العام، لكنها لا تنتج سلوكا حضاريا، بالإضافة إلى أنها تجعل صاحبها يعيش في الماضي ويهرب من تحديات الحاضر، أمّا بالنسبة للأفكار القاتلة فتؤدي إلى نتائج مدمرة في المجتمع، لأنها تنشر السلبية، و تغذي القابلية للاستعمار، و تعطلّ النمو الحضاري، و من سمات الأفكار الميَّنة أنها هدامة و معيقة لتطور المجتمع، تصنع انقسامًا داخليا بين أفراد الأمة، تزرع الشك في الهوية و تدعو للتبعية الكاملة للغرب، وتُستخدم لتبرير العجز والأتكالية. لذا يرى مالك بن نبي أن للأفكار دورا جوهريا في بناء الحضارات كما في سقوطها، و هي التي تؤثر على جميع مجالات الإنسان الاجتماعية منها و الاقتصادية و السياسية، حيث ربط مالك بن نبي بين الفكر و الاقتصاد ربطا عضويا، حيث تأكد أن الأفكار الميَّنة و القاتلة تشكل عقبة نفسية و ثقافية عميقة أمام أي مشروع اقتصادي ناجح، و تحرير العقول منها هو بداية الطريق نحو اقتصاد حر، عادل و منتج، يعيد للأمة دورها التاريخي و المساهمة في إعادة بناء الحضارة.

3- تأثير القابلية للاستعمار على التراجع الاقتصادي:

إن حالة البؤس الاجتماعي الذي كان يعيش فيه المجتمع المستعمر من ضعف التعليم، و انتشار للأمية، و سيطرة أنماط التفكير التقليدية أضعفت قدرة الشعوب على مقاومة التبعية الاقتصادية بعد الاستقلال، فأعتبر الوضع المزري آنذاك عاملا مشجعا، و أرضا خصبة لزرع عامل القابلية للاستعمار،

وهي خطة مدروسة من الاستعمار، لضمان تبعية المستعمر تستمر القابلية له على شكل تبعية اقتصادية وثقافية، عبر النخب التي تربت في ظل الاستعمار وتبنت نموذج التنمية، والعالم العربي أفضل دليل على ذلك، لأن معظم الدول العربية التي كانت تحت وطأة الاستعمار، وبعد خروجه، ورثت نخبه الحاكمة أنظمة اقتصادية فاشلة غير منتجة، تقوم على الربيع و النفط والمساعدات الأجنبية، بدلا من تطوير صناعات حقيقية و فعالة أو زراعة مستدامة، وهو ما يمثل استمرار منظومة التخلف التي رافقت الاستعمار. إن القابلية للاستعمار لا تترك أثرا فقط على العادات و التقاليد و السلوكيات، وإنما تتطور المسألة فتتحول إلى تبعية اقتصادية كما سبق و ذكرنا، و تتحول فيما بعد إلى تبعية سياسية و هذه من أخطر الأمور، لأن الدول المستقلة حديثا، بالرغم من استقلالها، تبقى رهينة لإدارة الدول الكبرى في صنع قراراتها الداخلية و الخارجية، فمن بين الأمثلة التي تجسدت في واقع الدول النامية، هي ممارسة الضغط من طرف الدول الاستعمارية على مستعمراتها السابقة لدعم مواقفها في المحافل الدولية، حيث كثيرا ما نشاهد أن الدول الكبرى تتدخل في النزاعات المحلية بحجة "حفظ السلام والأمن" أو "مكافحة الإرهاب"، بينما تكون أهدافها الحقيقية مرتبطة بالمصالح الجيوسياسية و توسيع نفوذها ونطاقها الاستعماري.

في نفس السياق يرى مالك بن نبي أن من مظاهر القابلية للاستعمار اختلال الأفكار وازدراء الرؤية للمعضلات، و تتحدد بظهور نزعة الميل نحو التكديس أو الشيئية ، وهذا ما يؤثر على التراجع الاقتصادي للدول النامية،

حيث أن: "المقياس العام في عملية الحضارة هو أن: الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتما أن تعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها"⁶، هذه العبارة ليست مجرد حكمة أدبية أو تنظير فلسفي نظري فارغا من محتوى تطبيقي، بل هي تحذير حضاري عميق، إنها تدعونا إلى مراجعة طرقنا في بناء مستقبلنا، وعدم الانخداع ببريق المنتجات الحضارية دون الغوص في العمق الذي أنتجها، وهذا لا ينتج حضارة بل يخلق ازدواجية وتناقضات بين البنية الفكرية والواجهة الخارجية للحضارة وهذا ما يتسبب في تخلفنا وتراجعنا الاقتصادي وهذا التراجع يكمن في إهدار رأس المال و الوقت و الجهد دون فائدة على المدى البعيد، فلو قارنا مثلا بين الفرد المسلم و الفرد الياباني و موقفهما من حضارة و ثقافة الغرب في مجتمعاتنا المعاصرة لوجدنا الفرق بينهما جوهريا. و تبياننا لهذا الفرق يقيم صاحب "تأملات" مقارنة واضحة بين علاقة اليابان بالحضارة الغربية وعلاقة العالم الإسلامي بها. فقد كان اليابان خلال سنوات (1868-1905) ينشئ حضارة، و كنا نشترى بضاعة حضارة، فكان اليون شاسعا و الخلاف جوهريا"⁷، لذا فاليابان تعامل مع الغرب و نهضته العلمية و التكنولوجيا بحذر و انتقاء، حيث استورد منه الأفكار و ضبطها بما يتوافق مع روحه و جوهر ثقافته، و أنه وقف من الحضارة الغربية موقف التلميذ فحارب التراجع الاقتصادي الذي وقع فيه نتيجة الحرب العالمية الثانية و خاصة: أزمة القنبلة النووية في هيروشيما و نكازاكي سنة 1945، بالإضافة إلى تحديات العالم الكثيرة و المتنوعة، فكان بمثابة التلميذ الذي تجاوز أستاذه. أما العالم

الإسلامي حسب وصفه، فكان عبارة عن مستهلك فقط، أي وقف من الحضارة الغربية موقف الزبون وبالتالي فمن الطبيعي أن يفتقر إلى روح النقد والتجديد والتغيير، ومن الصعب جدا على هذا الأخير أن يسمح لهذا الاستعمار الجديد، وقد ظهر عجزه وضعفه وجهله في امتلاك روح التصنيع والتصدير، مما خلق هوة جوهريّة بين حقيقة "الحضارة المصدّرة"، و حقيقة "الحضارة المستوردة"، وهذا ما قصده مالك بن نبي حين أقرّ أن النهوض الحضاري لا يبدأ بالأشياء فحسب، بل بالثقافة، من خلال منظومة القيم وبالقدرة على التفكير النقدي، ولهذا اقتنع أن النهضة الحقيقية والتغيير الحقيقي خاصة في الجانب الاقتصادي يأتي عندما يكون المجتمع تلميذا واعيا ذو فهم وتركيز بمستوى عالٍ، لا زبونا جاهلا بحقيقة الواقع الذي يعيشه والمال الذي يصبو إليه.

وبالنظر إلى التحولات السياسية والاقتصادية للعالم المعاصر ومع الخطط والاستراتيجيات الغربية غير المباشرة، يرى مالك بن نبي أن التحول الاقتصادي الحقيقي لا يبدأ من البنك بل من العقل، ولذلك أول خطوة نحو النهضة الاقتصادية عنده هي تحرير الفكر من هيمنة الغرب التي تتمثل في صورة صندوق النقد الدولي، الذي تأسس الصندوق النقدي عام 1944م والذي بدأ عمله الفعلي عام 1945م بعد الحرب العالمية الثانية إلا أن الدول الغربية أدخلت عليه اصلاحات عديدة منها، نهب أموال البلدان المتأزمة اقتصاديا، وخاصة بلدان العالم الثالث من خلال الشروط التي وضعتها لإذلال الشعوب التي تضطر للاستدانة مرغمة واجبارها على رهن مقدراتها الوطنية واستنزاف خيراتها الطبيعية. بمعنى أن الإنسان "الأهلي" كما ذكر مالك بن نبي لديه قابلية

لكي يُستعمر من طرف الغرب، و يعتبر الاقتراض من صندوق النقد الدولي "قابلية للاستعمار"، لأنه توجد أدلة كثيرة لمن لا يسدد دينه، فإنه يدفع الضريبة غالية جدا.

لذا فيما يتعلق بسقوط العالم العربي و الإسلامي في قبضة "صندوق النقد الدولي"، أو إن صح القول وقوع في سيطرة "الاستعمار الاقتصادي"، لأن هذا الأخير ما هو إلا "استعمار مقنع"، لأنه يرهن اقتصاديات الدول التي تلجأ إليه من خلال استخدامه أساليب وخطط غير مباشرة في الاستيلاء على ثروات الشعوب و تدميرهم، فالاستعمار في تصور مالك بن نبي ليس من عبث السياسيين بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذلّ الاستعمار و التي تمكنه من أراضها، و أن السبيل إلى التخلص من هذا القيد المذل لا يمكن النجاة منه إلا بتخلص الشعوب من تلك الروح الانهزامية تجاه الاستعمار، فيصبح الفرد شيئا فشيئا قادرا على القيام بوظيفته الاجتماعية... وبالتالي لن يقبل حكومة استعمارية تنهب ماله و تمتص دمه.

صحيح أن الاستعمار يحمل كل معاني الاغتصاب والتنكيل بالدول التي يضعها نصب عينيه، إلا أن مسألة القابلية للاستعمار أخطر بكثير من الاستعمار بحد ذاته، لأن الدول العربية و الإسلامية سمحت لهذا المستعمر أن يحتلها بكامل إرادتها و قناعتها، رغم أنها تملك ثروات لا تعد ولا تُحصى، من موقع جغرافي، و ثروات باطنية، و ثقافات متنوعة و متميزة، و طاقات و سواعد بشرية، تستطيع أن تغير العالم بأسره، و العالم العربي و الإسلامي عاش مدة من الزمن و لازالت معظم دوله تعيش مرحلة من الجمود الفكري و الثقافي

المستشرف للمستقبل، بل يغلب عليه الاتجاه للماضي بفعل فاعل، وبنفسية "القابلية للاستعمار" عانت و لازالت تعاني دول الوطن العربي من تراجع اقتصادي رهيب وأزمة حادة في معظم قطاعاته ومؤسساته.

نتائج البحث:

من خلال هذه الورقة البحثية يمكن الخلوصل إلى النتائج التالية:

- التخلف هو نتيجة هزيمة نفسية تقبّلت سلطة الآخر وتمردّه في ظل غياب الفكر الهادف والفعال للبناء الحضاري يضمن الدخول في ساحة التاريخ بعد غياب طويل.

- لا تتم عملية البناء الحضاري في غياب البعد الاقتصادي وفي غياب المنهج الصحيح والآليات السليمة لتناوله، لأنه يعتبر من المرتكزات الأساسية التي تتكئ عليها الأمة والمجتمع، وإنما ينبغي فهم الطرق والسبل الحقيقية لتأسيس اقتصاد حر بعيد عن التبعية والاستيراد الدائم، وكما قال مالك بن نبي أن بناء حضارة لا يكمن في استيراد منتجاتها.

- إن القابلية للاستعمار نوع من التبعية والدوبان في ظل وجود آخر قوي، والحضارة الحقيقية لا تنشأ من أعمال التقليد والمحاكاة والامتثال، وإنما تنشأ من خلال الإيمان بالذات ووجودها وقدرتها على التغيير، وقدرتها على المنافسة في حدود المعقول والمقبول.

- "إن الأزمة تلد الهمة"، على حد تعبير جمال الدين الأفغاني وهذا ما ينبغي تطبيقه عند مواجهة الأزمات والتحديات أي ينبغي اتخاذ المشاكل

والمعضلات حجة لفرض الوجود من جديد و محاربة الذات المتفاعسة و المتكئة على الغير، لأن مشكلة "التراجع الاقتصادي" ليست إلا جهلا بآليات و أساليب النهوض و الاستمرارية.

- تغيير التاريخ مرهون بتغيير الذات" و تغيير الواقع ليس هبةً تُنتظر من السماء بل هي دينامية تنبع من الذات أولاً ثم يأتي التغيير من السماء و هو المبدأ الذي اعتمده مالك بن نبي في استراتيجية البناء الحضاري "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" ..

الخاتمة:

و ما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة هو التأكيد على أن فكرة القابلية للاستعمار التي ارتبطت بمالك بن نبي -على الأقل من حيث المصطلح- لم تكن آثارها مختصرة على قبول الاستعمار والخضوع لهيمنتها الثقافية و اللغوية و سيطرته على المفاصل الاجتماعية فحسب، بل ألقت بظلالها على الاقتصاد، و هو ما يجعل مالك بن نبي مفكراً اقتصادياً بتزعة علمية موضوعية، و قد أثر تكوينه العلمي الأكاديمي في التعامل مع القضايا الفكرية بتجرد علمي، و هذا ما لاحظناه في التعامل مع الفكر الاقتصادي الاشتراكي الماركسي عكس معظم المفكرين الإسلاميين الذين تعاملوا مع ذات الفكر من منطلق إيديولوجي رافضي كما اعتبر مالك بن نبي الاقتصاد حجر الزاوية في بناء الحضارة الإنسانية.

الهوامش:

- ¹ مالك بن نبي. المسلم في عالم الاقتصاد. تر: عمر مسقاوي. دار الفكر المعاصر. لبنان. ط3. 1987. ص66
- ² طعية سعاد، فتوح خالد. القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي ومفهوم الذات. مجلة تاريخ العلوم. جامعة الجلفة. ص02
- ³ القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية، 11
- ⁴ إريك فروم. كينونة الإنسان. تر: محمد حبيب. دار الحوار للنشر والتوزيع. ط1. 2013. ص50
- ⁵ مالك بن نبي. شروط النهضة. تر: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين. دار الفكر. سوريا. ط4. 1987. ص47
- ⁶ مالك بن نبي، تأملات، تق: عمر مسقاوي. بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1979، ص166
- ⁷ عبد المجيد البصير، موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر. دط. دس. ص352

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- مالك بن نبي. المسلم في عالم الاقتصاد. تر: عمر مسقاوي. دار الفكر المعاصر. لبنان. ط3. 1987.
- طعية سعاد، فتوح خالد. القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي ومفهوم الذات. مجلة تاريخ العلوم. جامعة الجلفة.
- القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية، 11
- إريك فروم. كينونة الإنسان. تر: محمد حبيب. دار الحوار للنشر والتوزيع. ط1. 2013.
- مالك بن نبي. شروط النهضة. تر: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين. دار الفكر. سوريا. ط4. 1987.

- مالك بن نبي، تأملات، تق: عمر مسقاوي، بيروت: دارالفكر المعاصر، ط1،

1979.

- عبد المجيد البصير، موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر. دط. دس.